الإرساليات التبشيرية في بلاد فارس في القرن الخامس عشر

(البعثة الكبوشية في أصفهان*)

ترجمة: عمر جاسم محمد

(باحث في دراسات الشرق الأوسط)

الكبوشيون في بلاد فارس:

بدأت بعثة الكبوشيين في بلاد فارس مع وصول راهبين فرنسيين: الأب غابرييل الباريسي (١٥٩٥-١٦٤١) والأب باسيفيك البروفنسي (١٥٨٨-١٦٨٤) إلى أصفهان في أواخر ١٦٢٨، واستمرت بعثتهم لأكثر من مئة عام، وأرسل الراهبان من قبل رؤسائهم في (المجمع المقدس لنشر الإيمان) في روما.

كان الرهبان الكبوشيون جماعة زاهدة انبثقت عن الرهبنة الفرنسيسكانية، وبدأت بالنمو في فرنسا بشكل كبير، وجذبت تعاليمها ومثلها الدينية والخيرية العديد من الشبان النبلاء والبرجوازيين.

ومنذ العام ١٦٢٦ وصعوداً، أنشأت الكبوشية الفرنسية عدداً من البعثات التبشيرية في الشرق الأدنى، وذلك لهدفين: العمل من أجل اتحاد الكنائس الشرقية (بما في ذلك الأرمن) مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وتحويل المسلمين إلى المسيحية، من خلال التعامل بالوعظ والتبشير، عبر إظهار احترام القيم الإسلامية، وتقديم النماذج المثالية في المسيحية.

ويعيش الرهبان الكبوشيون على

التبرعات والصدقات التي تعطى لهم. ثم بعد ١٦٤٠ عملت البعثات الفرنسية الكبوشية في بلاد فارس، بدعم من المجمع الكنسي لتورين، وأشرف عليها (الحارس) الذي أقام في حلب.

وبعد وقت قصير لوصول الراهبين، استقبل الشاه عباس الأول الأب باسيفيك في قزوين، وأمره بالعودة إلى فرنسا من أجل التفاوض بخصوص مشاريع متنوعة، بما في ذلك شراء مدافع ومطبعة، ثم أهملت هذه المشاريع في عهد الشاه صفي، ما جعل الأب غابرييل وحيداً في فارس، فواجه معارضة شديدة من جهات عديدة، لكنه وبفضل مساعي حميدة قدمها رئيس شركة الهند الشرقية، نجح في عام ١٦٣٤ بالحصول على منزل بالقرب من قلعة طبرق في أصفهان، ليكون هذا البيت مقراً للبعثة الكبوشية حتى العام ١٦٥٦، ويقع هذا البيت في حي يقطنه المسيحيون، ولكن قرار الحكومة الصفوية بالحجر على المسيحيين في حي جلفا الجديد في أصفهان أضعف عمل البعثة.

إلا أن الكبوشيين استطاعوا جذب الكثير من المعترفين الأرمن، وكانت لهم محاولات متكررة، خاصة الأب غابرييل شينون في عام ١٦٥٣، ومرة أخرى في ١٦٦٤-١٦٦٥، للحصول على مواقع في حي جلفا، لكن محاولاتهم فشلت.

تعاقب عدد من الرؤساء لرهبنة الكبوشيين في أصفهان

الأب غابرييل الباريسي (استدعي لاحقاً إلى باريس عام ١٦٣٦)، ثم أعقبه الأب بليز النانتي، وحل محله في ١٦٤٠ فالنتين انجيه (توفي في أصفهان في ١٦٦٥)، وجاء بعده امبرواز البريولي، وشغل المنصب حتى عام ١٦٤٣، ثم رحل إلى الهند، وجاء بعده رافاييل لومان (دومانز)، الذي كان مسؤولاً عن دار الرهبنة الكبوشية منذ عام ١٦٤٩ حتى وفاته ١٦٩٦، وبقي لوقت طويل بعده زميله: سيتفان الأورليانزي.

ثم بعد الوقت الطويل الذي قضته الرئاسة براهب واحد، تعاقب من جديد عدد آخر من الرؤساء: جان بابتيست المونتموريو من ١٦٩٦ إلى ١٧١٤، ثم دنيس البورغيسي، حتى وفاته في عام ١٧٣٨، فأعقبه كليمنت الأوليروني، وكان آخر كبوشي أقام في أصفهان، إذ اضطروا بعدها للتخلي عن الدير، وتوفي في البصرة عام ١٧٤٧.

إلا أن أحد زملاء الأب كليمنت، الأب أركانغ، بقي في عهدة نادر شاه، وترجم الأناجيل بأمر منه، وأكملها في عام ١٧٤٠. (Archives Relations Extérieures, Corr. Pol. Perse, 7, fol. 171).

كان أول من تعلم الفارسية والتركية من الآباء الكبوشيين في أصفهان هما الأب غابرييل الباريسي وبليز نانت، إذ تمكنا من تعلم ما يكفيهم، بعد تجميعهم قواميس وكتابة نصوص صغيرة لعرضها على المسلمين الذين يحموهم. وتمتعوا بموقع متميز وعلاقات وثيقة مع بعض أعضاء البلاط الصفوي، وأصبحوا على معرفة جيدة جداً بالثقافة الفارسية، ومؤسسات وشؤون الدولة. وكان الأب رفائيل دومانز، الذي وصل أصفهان عام ١٦٤٧، قد استفاد من الاحترام الذي يكنه له رواده، بعد أن وضع معرفته بالرياضيات والفلك في خدمتهم، وعمل مترجماً للبلاط لصالح رجال الأعمال الأوربيين حتى وفاته، وتمتع بميزات في السنوات الأخيرة من حكم الشاه عباس الثاني، وأثارت إعجاب رحالة مثل تافرنييه، وبطرس بيدك، مؤلف كتاب (ضهل ستون/ الأربعون عموداً)، وهي مروياته مكتوبة باللاتينية عن بلاد فارس والتشيع (النمسا، ١٦٧٦).

وقد أخذ عنه نصوصاً وروايات رحالة كثيرون، مثل تافرنييه وثيوفنت وشاردان وفراير وكامفير، وجل نصوصهم عن بلاد فارس هي من تدوين رفاييل دومانز، والمعلومات الشفهية التي نقلها إليهم بشكل مباشر.

أُعتُبِرَ الكبوشيون ممثلين للنظام السياسي الحاكم في فرنسا، أكثر من كونهم مبشرين دينيين، وكانوا موالين لحكومات بلاد فارس، واستقبل ولاؤهم هذا بالتقدير والاحترام، ما جعل جهودهم التبشيرية غير مثمرة، إلا ما ندر.

ترك الكبوشيون في أغسطس ١٦٢٨ أحد زملائهم (الأب جوست بوفيه) في بغداد، التي كانت آنذاك تحت الحكم الصفوي، فأسس ديراً هناك، وأرسى بعثة ناجحة فيها، ثم اتخذ الدير لاحقاً مقراً للكرمليين. وتأسس المقر الثاني للكبوشيين في تبريز عام ١٦٥٦، من قبل مبشرين ذوي قدرات عالية: الأب غابرييل شينون(ت ١٦٦٨)، وكان يتمتع بحماية (بكلبركي)، وزير المقاطعة ميرزا إبراهيم، ولاحقاً بحماية ابن

ميرزا إبراهيم: الوزير ميرزا محمد طاهر، الذي درس مع الأب شينون.

قام شينون برحلات عديدة من تبريز، زار أورمية، حيث كان لفيكتور البلوي مهمة قصيرة موجهة للنساطرة (١٦٦٢-٦٣)، وزار جورجيا عام ١٦٦٦، بدعوة من أميرها فاختنج الخامس، وأخيراً إلى إيرفان، حيث بنيت كنيسة كاثوليكية من قبل الكبوشيين في عام ١٦٦٧، تحت حماية خان الأرمن: أزاريا، إلا أنها هدمت بعد بضعة أشهر، بناء على طلب من رجال الدين الأرمن.

بقي الدير في تبريز ناشطاً لما يقرب المائة عام، وكان الرهابنة القائمين عليه قد أرسلوا من مقاطعة تورين الفرنسية: الأب جوزيف ماري بورجيه حتى عام ١٦٧٦، وجورج فاندوم حتى ١٦٩٧، عندما أصبح (حارس – راعي)، ثم الأب بيير ايسودون، الذي رجم حتى الموت في الموصل عام ١٧٢٢، والأب برنارد بورجيه، الذي قتل في الغزو العثماني لتبريز عام ١٧٢٥، والأب كليمن اولبرون حتى عام ١٧٣٨، وداميان ليون، الذي رافق نادر شاه في عدة حملات قبل وفاته عام ١٧٤٦، وترك بيلرين ميراندول مسؤولاً في غيابه.

ثم تم التخلي عن الدير، ليس فقط بسبب سوء الأمن في بلاد فارس، ولكن أيضاً لعدم وجود رهبان، بسبب انخفاض معدلات توظيف الرهبان، بسبب الأوامر الدينية التي صدرت في فرنسا.

لم يكن في مخطط الكبوشيين إنشاء دير في شيراز، ولا القيام برحلات في القرى الأرمنية والجورجية المسيحية، في إقليم بيريا (فريدن)، قرب أصفهان، ولم تحقق مهمة الأب أمبرواز عام ١٦٤٩ هناك أي هدف من أهدافهم التي كانوا يرجون تحقيقها.

أما في جورجيا، فقد تمكن الكبوشيون الإيطاليون من الإبقاء على بعثة تبشيرية، بدأت عام ١٦٦١ في تيفليس وغوري وجانجا وغيرها، وساهمت بشكل كبير في الإحياء الديني والوطني في المجتمع الجورجي، الذي بدأ أوائل القرن الثامن عشر، ثم طردوا من جورجيا عام ١٨٤٥.

قابلت أنشطة الكبوشيين في إيران في العهد الصفوي اهتماما قليلاً، وخاصة بالنسبة لعلاقاتهم مع البلاط وبعض الوجهاء من المسيحيين الأرمن والجورجيين، لكنها لم تكن غير مهمة تماماً، فإلى جانب الدور الديني الذي

لعبتــه، كــانوا قــد لعبــوا دوراً كوســطاء ثقافيين❑

*المقال منشور في:

Encyclopedia Iranica, Capuchin in Persia in 15 century

المصادر:

- "Anecdotes orientales," ms. Bibliothèque Nationale, Paris, Français 25055-25064.
- A. Bugnini, La chiesa in Iran, Rome, 1981, pp. 160-164. A Chronicle of the Carmelites in Persia and the Papal Mission of the XVIIth and XVIIIth Centuries, 2 vols., London, 1939.
- Clemente da Terzorie, Le missioni dei Minori Cappuccini. Sunto storico, 10 vols., Rome, 1913-38.
- Gabriel de Chinon, Relations nouvelles du Levanṭ . . ., Lyon, 1671.
- Hilaire de Barenton, La France catholique en Orient, Paris, 1902.
- "Histoire des missions de la province de Touraine jusqu'en 1675," ms. Bibl.
- Orleans no. 916. Ignazio da Seggiane, L'opera dei Cappuccini per l'unione dei Cristiani nel Vicino Oriente durante il secolo XVII, Rome, 1962 (large bibliography).
- Lexicon Capuccinum. Promptuarium historico-bibliographicum . . ., 1525-1950, Rome, 1951.
- Pacifique de Provins, Le voyage de Perse et brève relation du voyage des îles d'Amérique, ed. by Godefroy de Paris and Hilaire de Wingene, Assisi, 1939.
- Raphaël du Mans, Estat de la Perseen 1660, ed. Ch. Schefer, Paris, 1890.
- F. Richard, "Trois conférences de controverse islamo-chrétienne en Géorgie vers 1665-1666," Bedi Kartlisa 40, 1982, pp. 253-59.
- Idem, "Catholicisme et Islam chiite au "Grand Siècle". Autour de quelques documents concernant les missions catholiques en Perse au XVIIème siècle," Euntes Docete. Commentaria Urbaniana 33/3, 1980, pp. 229-403.
- Idem, "Un témoignage sur les débuts de l'imprimerie à Nor Jula," REA, N.S. 14, 1980, pp. 483-84.
- Idem, Raphaël du Mans, missionnaire à Ispahan et informateur des voyageurs de Perse (forthcoming).
- Rocco da Cesinale, Storia delle missioni dei Cappuccini, 3 vols., Paris and Rome, 1867-73.
- P. Tamarati, L'église géorgienne des origines jusqu'à nos jours . . ., Rome, 1910.
- G. de Vaumas, L'éveil missionnaire de la France au XVIIème siècle, Paris, 1959 (with a bibliography).
- See also various documents in the archives of Propaganda Fide (Rome), Missions Etrangères (Paris), etc.
- (Francis Richard,Vol. IV, Fasc. 7, pp. 786-788)

عبق الكلمات

سَكَنُ المرأة

عبد الباقي يوسف
abdalbakiuosf@gmail.com

يسكن الرجل المرأة، ويهدأ بها، ويشعر في سكنه معها بنعمة السكينة. فالمرأة هي بيت الرجل، ورجل دون زوجة لا بيت له، مهما ملك من مساكن عقارية. بيد أنه يشعر بدفء المسكن عندما تكون له زوجة، حتى لو كان يعيش معها في خيمة معزولة. فهو عندما يخرج، يشعر أنه ترك خلفه بيتاً لا بدّ أن يعود إليه. ومعنى ذلك أن المرأة تُقيم له بيتاً وهي تنجب، فيُنظر إليه أنه صاحب بيت، حتى لو لم يكن بيتاً، في حين أن المجتمع لا ينظر إلى العازب على أنه صاحب بيت حقيقي، مهما ملك من بيوت. والأمر الآخر، فإن الرجل حتى وهو لا يملك بيتاً، يستمتع بنعمة السكن عندما يقعد أو ينام مع امرأته، في حين أن العازب لا يستمتع بنعمة السكن، مهما قعد ونام في بيوته. لذلك فإن الرجل ليس بوسعه الاستغناء عن المرأة، رغم ما ينشب بينهما من خلافات تبلغ أحياناً مراحل التصاعد، فتراه يعود إليها، لأنه دونها لا يشعر بالسكن. من الطرف الآخر، فإن المرأة سواء أكانت متزوّجة، أم عازبة، فهي بذاتها تبقى سَكناً، بيد أنها عندما تكون عازبة تكون سكناً غير مسكون، والسكن غير المسكون، هو سكن بارد، لا دفء، ولا حيوية فيه، ولذلك فهي تريد أن تكون سكناً مسكوناً، لا سكناً مهجوراً. وعلى هذا، ترى المرأة ترتعب من شبح العنوسة، وكلما تقدّمت في العمر استبدّ بها هذا الشبح أكثر، خاصة وهي تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها، فإن ذلك يبث إليها إشارات قوية بالعنوسة على رأس كل سنة جديدة تلجها، وتبقى مهددة بالعنوسة حتى اليوم الذي تظفر فيه بِمَن يَسكنها. فهي، والحال هذه، تكون أكثر اضطراباً من الرجل في سنوات عزوبيتها، ذلك أن هناك سنوات ذهبية محددة بالنسبة إليها، تكون فيها مزدهرة، وقادرة على الاختيار، بيد أنها إن خطت

تلك السنوات دون زواج، سينقلب الشأن عليها، فتضطر مرغمة للقبول بأي فرصة زواج، كي تقي نفسها الاستسلام لشبح العنوسة.

والسكن من السكينة، أي من الاستقرار، بالنسبة لكليهما، فهي تكون مستكينة، عندما تُسكن به، وهو يصبح مستكيناً عندما يسكنها. إن حال المرأة هنا كحال البناء السكني، الذي يبدأ خطوة خطوة، لبنة لبنة، يوماً يوماً، في التشكل، حتى إذا اكتمل واستوى على كماله، حينها إن دخلتَ إليه، وهو غير مسكون، سترَاه بارداً، فاقداً للحياة، رغم كل الأبهة التي يستوي عليها، فلا تملك سوى أن تخرج منه، لأنه لا يحقق لك الأنس، وإن مررتَ بجانبه مرة أخرى، تتجنّب أن تدخله، لأنه غير مسكون، بل تشفق عليه، وأنت تنظر إلى جماليته، وتكامله، بيد أنك – في ذات الوقت– تشعر بخوائه، وبروده، وفقدانه لعنصر الحياة. ثم إن أردفت مسيرك، ورأيت خيمة مكتظة بالناس، ستشعر أنها سكن ينضح بالحيوية أكثر من ذاك القصر الفارغ من رائحة الإنسان. ولذلك فإن الرجل المتزوّج هو رجل مستقرّ ومستكين عاطفياً، في حين أن الرجل الذي لا زوجة له، يكون مضطرباً في عاطفته، وهذا يعكس اضطراباً على سائر ممارساته الحياتية. فمهما كانت مستويات الخلاف بين الرجل والمرأة، ليس لأحدهما غنى عن الآخر، ومهما اكتمل أحدهما، ونضج، فإنه لا يستوي في كماله ونضجه إلا بالآخر.

إن ذلك من شأنه أن يعرّف الرجل بخصائص المرأة، هذه الخصائص المختلفة عن خصائص الرجل. ولعل عدم مراعاة هذا الفارق، هو الذي يتسبب في نشوب خلافات بين الرجل والمرأة، ذلك أن الرجل أحياناً يتعامل مع المرأة كما لو أنه يتعامل مع رجل، بل يطلب منها أموراً فوق طاقتها، وهي أن تكون مثله، ناسياً أنها لو استجابت له – وهي لا تستطيع أن تستجيب، لأن فطرتها لا تسمح لها بذلك – وأصبحت مثله، لن يكون بوسعها أن تكون امرأة، لأن ذلك سيُسقط عنها كل تلك المزايا التي تتمتع بها حتى تكتمل معالم أنوثتها. فمهما كانت مستويات الخلاف بين الرجل والمرأة، ليس لأحدهما غنى عن الآخر، ومهما أخذ أحدهما من الآخر، فإنه يعطيه أكثر مما أخذ، ومهما اكتمل أحدهما، ونضج، فإنه لا يستوي في كماله ونضجه إلا بالآخر، ولننظر إلى حجم برودة الحياة إذا خلت من تلك القوة البشرية الناعمة التي تُمثلها المرأة، وتُحدثُ توازناً لتلك القوة البشرية الخشنة التي يمثلها الرجل❐